القدس... خطاب التثبيت والإزاحة

من خطاب الرحالة الغربيين إلى الخطاب الرقمي

د. رامي أبو شهاب

جامعة قطر

ملخص البحث

تتأسّس فرضية هذا البحث على تجانس الخطاب الغربي، وتنظيمه بهدف تكريس المساعي الصهيونية للهيمنة على القدس ثقافياً، وتاريخياً عبر روافد خطابية نشأت مع كتابات الرحالة الغربيين الذين صاغوا متخيلاً لاهوتياً تجاه القدس من منطلقات توراتية استهدفت تقديم المكون اليهودي على ما عداه، ولاسيما تجاهل المكون العربي الكنعاني اليبوسي، بالإضافة إلى الإسلامي لدى عدد من الرحالة والمستشرقين الغربيين، ومن ذلك كتاب"الحياة في بيوت فلسطين" للرحالة البريطانية "ماري إليزا روجرز. غير أن هذا الجهاز الخطابي استمر فاعلاً إلى يومنا هذا، ولكن عبر آلية جديدة، حيث نجد أن معظم المواقع الإلكترونية الغربية- ولاسيما الإنجليزية - ذات الطبيعة التثقيفية العامة كموقع ويكيبيديا والموسوعة التاريخية، وغير ذلك من المواقع تنتهج النهج عينه، ولاسيما تقديم القدس بوصفها أرضاً يهودية؛ ممّا يعني تجانساً وتنظيما خطابياً، تتنازعه مقاصد واعية، وفي بعض الأحيان، تبدو أسيرة اللاوعي القائم على جذور لاهوتية. وبذلك فإنّ كلا النظامين الخطابيين يتفقان على أنهما تشكيل مبدئي للتعريف بالقدس، وصوغ هويتها ضمن مبدأين: أولا التثبيت للهوية اليهودية، ثانيا إزاحة الهويات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: القدس– الرحالة– الاستشراق- الكولونيالية- اليهود– العرب– الغرب- المواقع الإلكترونية

Abstract

The hypothesis of this research is based on the homogeneity of the Western discourse and its organization with the aim of devoting Zionist efforts to the cultural and historical domination of Jerusalem through the tributaries of Western travellers who formulated a theological metaphor for Jerusalem from biblical perspectives aimed at presenting the Jewish component, The book of the British traveller, Mary Eliza Rogers, "Life in the Houses of Palestine." However, this rhetorical apparatus continued to be effective today, but through a new mechanism where most of the Western websites - especially English - And the others approach it to present Jerusalem as a Jewish land, which means homogeneity and a rhetorical organization, which is interspersed with conscious purposes, and at times we observe the departure from the existing non-theological consciousness, and thus both the two systems agree that on the formation of an initial definition of Jerusalem, and the formation of identity within the principle of stabilization of Jewish identity, and the elimination of others.

Keywords: Jerusalem - Traveller - Orientalism - Colonialism - Jews - Arabs - West - Websites

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

تمهيد

تعدّ الهجرات اليهودية إلى فلسطين في نهاية القرن التّاسع عشر، ومطلع القرن العشرين عاملاً من عوامل تغيير الهويّة التاريخيّة والحضارية لفلسطين عامة، والقدس خاصة حيث شكّلت أولى محاولات تثبيت الوجود اليهودي في فلسطين، بالتّوازي مع السّعي إلى إزاحة المكوّن العربي الإسلامي، أو تجاهله. وهذا ممّا يتطلّبُ مرجعية خطابية تُضفي شكلاً من أشكال الشّرعية على هذا الوجود، والتمهيد له. تذكر مخطوطة روحي الخالدي التي قدّمها عزّ الدين المناصرة بأنّ أول هجرة يهودية إلى فلسطين تحقّقت بإذن ما قدمه السّلطان العثماني بايزيد الثاني إلى حاخامباشي الأستانة، حيث سمح الأول لعدد من العائلات اليهودية يبلغ تعدادها (3700 عائلة) بالعيش في بعض المناطق، أو المدن الفلسطينية (1)، ومن هنا يُلاحظ بأنّ الوجود اليهودي في فلسطين يتّخذ طبيعة جدلية حيث تتداخل عدة عوامل، منها ما يتّصل بالإمبراطوريات الكولونيالية، ومصالحها، بالتّوازي مع البعد الديني، والحضاري. بيد أن الملاحظ في تلك الفترة توفّر أسباب واقعية، ومادية، بالإضافة إلى خطّة من أجل توفير سند تاريخي لاهوتي خطابي بهدف تجذير، أو إعادة تجذير الوجود اليهودي المختلق، وهذا لن يتحقّق ما لم يتم ربط القدس بالمكوّن اليهودي، ومن هنا تكمن أهمية مخطوطة الخالدي لأنه يوضّح أن الهجرات اليهودية إلى فلسطين نهضت على أدوات عملية تتمثّل بإنشاء تواصل دبلوماسي مع السّلطان العثماني، ومن ثم تبع ذلك تأسيس شركات هجرات، وشراء صحف، بالتوازي مع دعم مادي من قبل الأثرياء اليهود، وهذا يأتي بالتضافر مع الإسهام الكولونيالي الاستشراقي القائم على المعرفة الكولونيالية، غير أن هذه السّياقات لطالما احتاجت إلى نموذج خطابي نشأ مع المدّ الاستشراقي، غير أنه استمر مع النماذج الخطابية في العصر الرقمي بهدف تدعيم الحضور اليهودي، وتمكينه حتّى في الزمن المعاصر عبر إضفاء الشرعية المعرفية عليه.

تتأسّس تمثّلات الفكر الغربي الأوربي لمدينة القدس من منطلق ديني تاريخي، وهو في معظم الأحيان ينتج عن ربط مدينة القدس بالمكوّن اليهودي التوراتي. ولعل هذا يترجم من خلال التمثّلات التاريخية التي أتت من لدن الرحالة الغربيين بوصفهم قد أتوا إلى القدس لا ليعاينوا واقعها، وطبيعتها، أو يدرسوا سكانها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى محاولة استنهاض المتخيل الديني، غير أن هذا الفعل الخطابي استكمل آلياته المعاصرة عبر الكتابة الرّقمية ذات النزعة التثقيفية العامة التي يمكن أن تقدم صورة تاريخية وحضارية لمدينة القدس من منظور وعي الثقافة الغربية، إذ تعمل هذه المواقع بوصفها مدوّنة معاصرة ذات تأثير شديد الخطورة على تكوين وعي مستمر التأثير بهدف إكساب الحضور اليهودي في فلسطين طبيعة تاريخية قارّة في ذاكرة قارئ اليوم، من منطلق أن هذا الأمر يتّخذ صورة أكثر توجيهاً، ووعيا في العصر الحديث، ولا سيما حين نمارس دور البحث المعرفي في صورة بسيطة؛ أي فعل البحث والتصفّح لتكوين صورة عن مدينة القدس لدى قارئ غير متخصّص، أو ما يمكن أن نصفه بالتوصّل إلى المعلومة العامة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

تذهب معظم المصادر والمراجع الغربية إلى أن القدس تعدّ مدينة مقدّسة للديانات الثلاث، ومع أن أوروبا لطالما نظرت إلى القدس عبر المنظور المسيحي، غير أن العقل الغربي التاريخي، والمتخيل الذي صيغ من قبل عدد من الرحالة من منتصف القرن التاسع، ومطلع القرن العشرين، يحيد عن هذا التصوّر؛ إذ نرى تراجعا للعلاقة المسيحية مع المدينة كي يتمّ تقديم العلاقة اليهودية، أو أن يسيرا بموازاة بعضهما البعض، بيد أن الاتفاق كان يتمثل في أن يُتجاهل الحضور العربي الكنعاني اليبوسي، بالتجاور مع الحضور الإسلامي، وهذا يتّضح من خلال اكتناه عدد من كتابات الرحالة الغربيين، وبالتحديد كتاب "الحياة في بيوت فلسطين" للإنجليزية ماري إليزا روجرز(2)، بالتقابل مع اكتناه تمثيلات القدس في بعض المواقع الالكترونية الغربية.

أولا: القدس في متخيل الرحالة الغربيين (كتاب الحياة في بيوت فلسطين لماري إليزا روجرز نموذجاً):

لا يمكن أن ننكر بأن معظم كتابات الرّحالة الغربيين تتمحور حول الأثر الديني المسيحي لمدينة القدس، بالإضافة إلى وجود الهدف المعرفي الوصفي، فضلاً عن الرغبة الاستكشافية التي تنهض عليها تلك الرحلات بيد أنها سرعان ما تنزلق إلى تكوين صورة للمدينة انطلاقاً من مخزون ديني لاهوتي مسيحي يهودي. إن مبدأ الرحلة قديماً كان ينطلق من فكرة الحج التكفيري القائم على مبدأ فرض الحج للتكفير عن الذنوب، وهنا نتذكر جميعاً بطل فيلم "مملكة السماء"(3) الذي ارتحل إلى القدس بهدف التكفير عن ذنوبه. وفي هذا السّياق نشير إلى الملك شارلمان ملك الإمبراطورية «الكارولينجيه» أو مملكة الإفرنجة (Franks) حيث كان اتصال بالخلافة العباسية، ولا سيما الخليفة هارون الرشيد من أجل تسهيل عملية الحج المسيحي (4)، وبعد ثلاثة قرون تقريباً جاءت الحروب الصليبية من أجل تحقيق أهداف اقتصادية، وثقافية، وعسكرية، بالإضافة إلى الرغبة بتأمين طرق للحجاج. في حين أن المنعرج الحقيقي تحقّق في أواخر القرن التاسع عشر حين تراجعت الصّيغة المسيحية المعرفية الكولونيالية للقدس، لتتقدّم الصيغة اليهودية في تكوين العلاقة.

في دراسة للباحث مروان فريد جرار نقرأ صورة عن التمثيلات التي قدمها الرحالة الغربيون لليهود عن فلسطين عامة، والقدس خاصة(5)، وتتحدّد استنتاجات الباحث ببعض الملحوظات التي تحاول أن تثبت أن معظم الرحالة الغربيين قد سعوا إلى ربط القدس بالإرث اليهودي، واليهودية، إذ يظهر هذا الارتباط عبر المسميات التوراتية لدى العديد من الكتاب والرحالة، ومنهم "إيلي سميث" وإدوارد روبنسون"، و"شاتوبريان"، و"فليكس بوفت"(6) ، إذ تتركز كتابات هؤلاء الرحالة على تكوين المدينة المتصل بجوهر العقيدة اليهودية، والقائمة على علاقة أزلية في أكثر من متوهم، بيد أن هنالك ملحوظة مهمة تتّصل بنفي أي علاقة لهذه المدينة مع الكنعانيين، أو اليبوسيين الذين كانوا من أوائل الذين سكنوا فلسطين، في حين تسعى تلك الدراسات إلى تمثيل التكوين الجغرافي للمدينة من خلال إحالة أسماء المدن، والقرى، والمناطق إلى الموروث اليهودي، بما في ذلك أسماء أبواب مدينة القدس(7). في حين تربط الحياة العمرانية والصناعية والثقافية بالمكون اليهودي فحسب، مع التشديد على إبراز الصناعات التي يبرع فيها اليهود(8).

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

تذكر بعض الدّراسات أن معظم متون الرحالة الأوربيين قد أتت على تقديم معلومات وافية عن اليهود من حيث طوائفهم وعاداتهم وتقاليدهم وأحيائهم، وبهذا تختزل المدينة إلى هذا المكون. ففي القرن التاسع عشر وحده كانت القدس محج المصورين العالميين، حيث كان يتجول في أنحائها نحو 300 مصور أجنبي طبعوا خلال تلك الفترة عشرات الآلاف من الصور عن فلسطين، بالإضافة إلى الأردن ومصر (9).

ولعل كتاب" الحياة في بيوت فلسطين"- نشر سنة 1862 - للرحالة البريطانية ماري إليزا روجرز (١٨٢٧- ١٩١٠) الذي يوثّق رحلتها التي قامت بها بين عامي (1855-1859) حيث ينظر له على أنه من الكتب التي حاولت أن تقدّم تصوّراً متوازناً للتعبير عن الطبيعة الاجتماعية والثقافية والدينية لفلسطين، بما في ذلك مدينة القدس، ولكن هذا لم يمنع من أن وعي المؤلفة بدا مسكوناً بالأثر اليهودي تُجاه المدينة تبعاً لمنطلقات لاهوتية كامنة. ولعلّ التركيز على هذا الكتاب تحديداً قد جاء من رغبتنا في إدراك العمق الكامن في الوعي الغربي للنظر إلى القدس عبر المنظور اليهودي، ولكن من لدن كاتبة عرف عنها البعد عن الشّبهات الكولونيالية إلى حدّ ما، أو لنقل اتّسامها بالموضوعية نظراً لمحاولتها وصف الطبيعة الاجتماعية والثقافية لفلسطين بوصفه هدفاً قائماً بذاته، وبذلك، فإنّنا نبغي تحقيق أكبر قدر من الموضوعية، أو الشّفافية عبر اختيار هذا الكتاب -تحديداً- كما أنّ الكتاب يتميّز بأنّه يسعى إلى تقديم معرفة ذات طبيعة عامة، أو تثقيفية للقارئ الغربي، أي أنّه كتاب يعمل ضمن نظام تاريخي معرفي لرسم صورة للهوية التاريخية والاجتماعية والثقافية لفلسطين في زمن مبكر، وبهذا فإنّه لا يختلف في تكوينه، وأهدافه عن آلية عمل المواقع الالكترونية التي تقدّم لنا خُلاصات تاريخية عن طبيعة المدينة، وتكوينها للقارئ العادي، وبذلك يتحقّق الرّابط بين هذين المكوّنين الخطابيين من خلال الهدف، والوظيفة، ولكن في سياق زمني مختلف، وعلى الرغم من هذا السّياق بيد أن الوعي الغربي جاء متطابقا بين هذين المكونين. وهذا ربما ما يجعلنا نقع على أثر الكتابة السّاكنة المتأتية من موروث عميق لدى السّيدة روجرز، وغيرها من الرحالة بحيث يتطابق مع ما يكتبه محرّرو تلك المواقع الالكترونية. فالسّيدة روجرز تُسارع إلى ربط القدس مباشرة بالخطابية اليهودية، فبمجرد اقتراب هذه السيدة من شواطئ فلسطين مع أخيها الدبلوماسي، فإنّها تشرع في استحضار الخلفية التوراتية للوعي بهذه الأرض حيث تنقل قول شقيقها، وهو على متن السّفينة : " **بادر أخي قائلاً : انظري بعيدا نحو الجنوب الشرقي، حيث أشرقت الشمس للتوّ، تلك التلال البعيدة التي تكاد تختفي في الضباب هي مرتفعات يهوذا- التلال المحيطة بالقدس** "(**10**). نقرأ في هذا التّوصيف الاستهلالي لمفردات الرحلة، ومنها كلمة "يهوذا" أي أن فلسطين تقفز إلى الذّاكرة بوصفها أرضاً يهودية. وفي سياق جملة التوصيفات في رحلتها للقدس يبقى مفهوم العلاقة الإسلامية مع المدينة مسكوناً بالإرث السّلبي لحضور المسلمين كما يتضح عند وصفها لمشهد كنيسة تحولت إلى إصطبل، بينما يستحضر وعي الحروب الصليبية في البوادر الأولى للتعامل مع المنطقة وإن بدت طارئة، وغير مركزية، ولكنها تشفّ عن قيمة شعورية، كامنة حيث جاء: "**يستخدم المبنى حاليا كخان وإصطبل للدواب، ولكنه كان فيما مضى قلعة حصينة. مر زمن طويل على الأيام التي كانت**

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

ابتهالات الرهبان الفرنسيسكان تتردّد في جنبات هذا المبنى، فقد تعرّضوا للنفي في حوالي منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، عندما أقدم سلطان مصر على غزو بيت المقدس"(11).

لا شكّ بأنّ الخلفية الدينية لهذه السيدة قد شكّلت دافعاً للمشاركة بهذه الرحلة من أجل اكتشاف الأرض المقدّسة التي مكثت في وعيها عبر متخيّل خطابي صاغته الكتب الدينية؛ ولهذا فإنّ حضورها كان يتمثل تجربة الوعي والتأمّل، مع محاولة نقل الكثير من التّفاصيل التي بدأت مع الفصل الأول، وتحديداً الرحلة من لندن إلى فلسطين. وعلى ما يبدو؛ فإنّ الكاتبة كانت معنية بسرد التّفاصيل بالاعتماد على مشهدية الرحلة التي تطال الجغرافية، والأشخاص، علاوة على تكوين الانطباعات التي رافقتها أثناء الرحلة، وهنا ألتقط إشارة بالغة الأهمية، وتحديداً أثناء مرور السفينة من الإسكندرية، وصعود الكثير من المسافرين من العرب والمسلمين والمسيحين واليهود الذي تشاركوا السفينة، والنوم على متنها، إلى جانب بعضهم البعض مُتدثرين بعباءاتهم؛ ممّا يشي بأن الفترة التاريخية المنضوية تحت مقولة الحقبة العثمانية، كانت تتّسمُ بنمط مُتسامح تتشاركه الجماعات الدّينية المختلفة، رغم بعض الخلافات والنزاعات التي سادت في تلك الفترة، فضلاً عن بروز بعض الفتن التي كانت تظهر بين الحين والآخر بين أبناء الدين الواحد، ولكن بمعزل عن وعي يهدف إلى تبديد الهوية العربية الإسلامية لمدينة القدس، مع الإشارة إلى أنّ الكاتبة حاولت أن تنقل لنا تكوينها أو فكرها الدّاعي إلى نبذ التعصّب والتطرف، والدعوة إلى التّسامح في بعض المواقع من الكتاب، بيد أن الإمبراطوريات الغربية كانت ناشطة من أجل استثمار هذا العنصر من أجل تكريس وجودها، فهذه القوى كانت تسخر هذه الشعوب ونزعاتها العصبية لخدمة المشاريع الإمبراطوريات من أجل المزيد من التّوسع والهيمنة، في حين أن حركة الشّعوب، وتعاطيها مع بعضها البعض بدت -حقيقة- أقلّ تعقيداً رغم غياب التّنوير، ومع هذا؛ فقد انساقت أحياناً لمشيئة القوى الإمبراطورية التي اتخذت من هذه المنطقة مجالاً لتكوين الفتن والصراع والقلاقل تمهيداً للهيمنة عليها اقتصادياً، وثقافياً، ودينياً، وسياسياً؛ ولهذا تتّخذ مهمة كتابة التقارير المتعلّقة بعادات تلك الشعوب، ومسالكها وسيلة لتكوين المعارف المتصلة بنسق سلطوي معرفي من قبل بعض الرّحالة الغربيين كما بيّن إدوارد سعيد في مجمل كتاباته التي تناولت الاستشراق، والبعد الإمبريالي.

يشار إلى أن ثمة قصة وردت بين ثنايا كتاب روجرز، تنقل لنا تصوراً مؤسلباً تجاه السّكان المحليين، فقد قام سيد أوروبي بقتل رجل مسلم عن طريق الخطأ – حسب الرواية الإنجليزية- ممّا تسبّب بردّة فعل غاضبة من قبل السّكان المسلمين الذي حاولوا الانتقام من بعض المسيحيين، ما دفع المؤلفة إلى نعت المسلمين بالمتعصّبين، في حين أنّ القاتل ما زال يعدّ سيّدا مهذباً أمام هؤلاء الغوغاء (12). ومن هنا؛ فقد عُني الكتاب في كثير من مواضعه بتصوير بعض النزاعات والفتن والقلاقل التي كانت تنتشر بين الطّوائف والأديان، بل إنها كانت تقع بين أبناء الدين الواحد، وبالتحديد التركيز على العدائية التي تتصل بالمسلمين، وبهذا فإن الكثير من الأحداث تسرد تبعاً لوجهة خطابية منظمة، تتخذ موضعها في التاريخ ليكون علامة لا تمحى بحيث تستهدف نزع الصفات عن

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

شعب فلسطين، أو الفلسطينيين بوصفهم أمة، في حين أن من يسكن فلسطين ما هم إلا خليط من الجماعات والأعراق، والطوائف الدينية.

يتكوّن الكتاب من أربعة عشر فصلاً، تتناول رحلة السيدة ماري في فلسطين، انطلاقاً من لندن إلى يافا التي بدت عند الوصول إليها مدينة نابضة بالحيوية عبر أسواقها، وحركة سكانها. ولعل السّرد في هذا الموضع ينقل لنا إحساساً بعمق التمكّن الحضاري لهذه المدينة التي كانت تشرع أبوابها للكلّ. وهنا تظهر الانطباعات الأوروبية حول السكان الأصليين –كما تصفهم ماري- إيجابية، وهذا يأتي انطلاقاً من لقاء السّيدة البريطانية مع عائلة "خياط" التي رحبت بالضيفة الإنجليزية، بل إنّ هنالك فتاة من فتيات العائلة كانت تتقن الإنجليزية نتيجة دراستها في الإرسالية التبشيرية في بيروت؛ ممّا سهّل فعل التواصل بين العائلة والضيفة. لقد سادت تمثيلات إيجابية في رصد المكوّن المحلّي في ذهن السيدة الأوربية التي استشعرت كرم العائلة، وضيافتها، ولاسيما بعد تناولها وليمة عكست وفرة الغلال الصّيفية في بلدة واقعة على ساحل فلسطين كما تصف (13)، لقد بدت فلسطين بين ثنايا الكتاب أرضاً تفيض بالعسل واللبن تبعاً للخطابات الشائعة، وكأن ثمة إدراكاً لقيمتها تمهيدا للإحكام عليها، غير أنه يلاحظ بأن الرحلة ضمن نسقها النصّي المباشر، تسعى إلى وضع صورة للحياة في الأراضي المقدسة بوصفها نموذجاً تاريخياً يتّصل بوعي موضوعي، بحيث يُنظر للمكان على أنه لا يحمل هوية واحدة، فلهذا كان لا بد من البدء في خلخلة هذه الهوية، وتفكيكها كي تتطابق مع المتخيل والنوايا الكولونيالية، مع إسنادها بمرجعية تاريخية يهودية تشتغل من الخلف، من خلال التأكيد على الوجود غير المتجانس من سكان القدس تمهيداً لتأكيد شرعية الوجود اليهودي التاريخي وإحلاله.

تسعى الكاتبة إلى رسم صورة طيفية لسكان فلسطين (14)، وبهذا فإن ثمة مجالاً لنفي الطّابع العربي عن المدينة، وتسريب الحضور واليهودي، بالتوازي مع أعراق وطوائف مسيحية أخرى حيث تقول: " **التقينا خلال طريقنا جماهير غفيرة من المسلمين واليهود والإسبان واليهود الألمان والبدو واليونانيين، ورهبان شتى الطوائف المسيحية**" (15). ثمة توجّه عميق لتعميق المشهدية في تقديم الحدث، وتثمين الوصف، وسرد تفاصيل عن حياة الشّعوب التي سكنت تلك المنطقة ضمن تقاليد العقل الأوربي المأخوذ بالتدوين، والتّصنيف، ومعاينة الوقائع. إنّه فعل معرفي كامن في العقل الغربي الذي أدرك قيمة معرفة ما يجهله، غير أن هذه المعرفة تتّخذ وضعيتها الإشكالية من كونها تنطلق من معيارية غربية، وتحديداً في قراءة المسالك الحضارية للشّعوب الأخرى التي تخضع لتعريفات محددة.

تتخذ المعرفة القائمة على المكوّن اللاهوتي التاريخي موضعها في وعي السّيدة روجرز التي تصف قرية فلسطينية اسمها "قرية العنب" تشتهر بكروم العنب، والوداعة والجمال، غير أن المؤلفة سرعان ما تستحضر الاسم القديم للقرية، فتذكر بأنها كانت تحملاً اسماً قديماً هو "كريات يعاريم"(16)، وكما نعلم بأن هذا الاسم عبري. ولعل هذا النهج ينسحب على الكثير من المناطق التي توصف في متن الكتاب، فالكاتبة غالباً ما تستشهد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

بالنصوص العبرية عند ارتباطها أو مرورها بمكان ما، ومن ذلك وصفها للحجارة الكبيرة التي كانت تُستخدم لبناء القلاع والحصون والصّروح على أرض يهوذا من قبل العبرانيين في الأزمنة الغابرة، إذ تصف بأن أسلافهم هم من بنوا الأهرامات (17). إذن ثمة قيمة مركزية لا يمكن أن تُقتلع في الوعي الغربي، وذلك بأن يجعل من فلسطين جزءاً من متخيل ديني يرى في العنصر العربي والإسلامي طارئاً على الأرض المقدسة، ومع أن الكتاب، يبدو حاملاً للكثير من المشاهد والتّمثيلات الإيجابية للحياة الفلسطينية، بثقافتها، وشعوبها، غير أنها ما زالت في العمق، أو في خطابات اللاوعي الأوروبي تحمل توجهاً قائماً على نبذ المكون التاريخي والثقافي للحضارات التي سكنت فلسطين، وعبرتها باستثناء المكون العبري فقط، حيث جاء في معرض وصفها لبعض النماذج المعمارية مقولة تنسبها للعرب حيث تقول: " **لدى العرب قول مأثور مفاده أن " اليهود شيدوا المباني، والإغريق زرعوا الأرض والترك يهدمون**"(18)، ولكن هذا سرعان ما يُدعم بنماذج حضارية شيدها الرومان واليونان، غير أنها تلاشت نتيجة بروز نسق ثقافي أخر – طارئ- شيّده العرب والمسلمون، فهذه الصّروح الجديدة توصف بأنها ليست سوى مآذن، وأكواخ، وزرائب بائسة من الطين، في حين أن أشجار الزيتون فقد زرعها اليونانيون (19)، بالإضافة إلى طقم من النماذج التي تنتشر في متن الكتاب، وتسترجع التاريخين المسيحي واليهودي على وجه الدّقة.

ومع أنّنا نتلمس –أثناء القراءة- بأننا ضمن سرد إيجابي، يطال الحياة المحلية للسكان العرب، غير أنّ ثمة نوايا تاريخية كامنة في وعي هذه السّيدة، إذ ترى الثقافة العربية أمراً طارئاً على أرض فلسطين ضمن نسق مخاتل، إنني هنا لا أسعى إلى معالجة تقويض أو تفكيك هذه التمثيلات، أو تتبع مقدار مطابقتها، ولكني أسعى إلى تكوين صورة عن الأنظمة الخطابية المخاتلة التي تكمن في بعض الكتابات الاستشراقية الإيجابية، أو ذات النبرة الأقل عدائية تجاه الشرق المتخيّل أو المصنوع، فثمّة خطاب خافت أو كتل نصيّة، تنهض على الاستعادة لتسريب قراءة تاريخية شديدة المغالطة في تكوين صورة عن هذا الشّرق، ولاسيما فيما يتعلّق بالأرض المقدسة، أو فلسطين.

ضمن مساعي الكتاب نموذج آخر لتقديم الصورة الحضارية والثقافية لفلسطين في تلك الفترة، وإن بدت في بعض الأحيان متّصلة بواقع الدولة العثمانية، وما ساد من تراجع شمل كافة الأقاليم التابعة لها ضمن المستوى التعليمي، والحضاري عامّة، غير أن واقع فلسطين بدا مختلفاً بعض الشيء، فقد كانت أرض فلسطين منفتحة على الآخر نتيجة توافد الزوار والحجاج لكونها أرضا مقدسة، ممّا أثرى واقعها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلى حدّ ما، وهكذا تصف الكاتبة في جزء من كتابها الأسواق، ومن ذلك بعض بازارات نابلس، وأسواقها حيث ترى المؤلّفة بأنها تعدّ من أفضل أسواق فلسطين، فقد كانت معظم البضائع تجلب من أوروبا، ومنها على سبيل المثال الأقمشة المستوردة من مانشستر، بالإضافة إلى الملاعق والسكاكين والشوك التي تستجلب من شيفيليد، بالتجاور مع المجوهرات الفرنسية، والمناديل السويسرية، علاوة على بضائع من الصين، وحلب، ودمشق، وغيرها (20).

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

تستمر رحلات روجرز لتشمل العديد من المدن والبلدات الفلسطينية، وفيها نقرأ وصفاً لأنماط الحياة في فلسطين، وهذا يشمل البيوت، والملبس، والمأكل، وبعض العادات والتقاليد بما في ذلك الأعراس، والوفاة، فضلاً عن الحريم، وما يطال نمط حياة المرأة العربية، وموقعها في الثقافة الفلسطينية، علاوة على وصف مواسم الحصاد، وأنماط الزراعة، والاقتصاد، والتعليم، والثقافة، والغناء، والمعتقدات والخرافات، وغير ذلك من مستويات التي عنيت بها تلك الرحالة كي ترسم صورة عن المنطقة برمتها، وعلى ما يبدو، فإنها كانت معنية بإلحاح على الانخراط في حوارات، ولقاءات مع السّكان بهدف التعرف عليهم عن كثب بغية تكوين معرفة شديدة الاتصال بواقعهم، ومن ذلك على سبيل المثال الحذر الشّديد عند التحدّث بشؤون الدين انطلاقاً من نصيحة شقيقها مساعد القنصل الذي كان على اطّلاع بحساسية هذا الموضوع (21).

ومع أن كتاب روجرز يتّصل بمحاولة وصف الحياة في فلسطين، ودراسة أحوالها الاجتماعية، غير أن هذا لا يمنع من ملاحظة أن ثمة نزعة كولونيالية كامنة أو مخاتلة في خطابات السّيدة روجرز، بحيث لا نكاد نتبيّنها من الوهلة الأولى، ولكننا نقع عليها، وبوجه خاصّ عند الحديث عن الطبيعة العمرانية التاريخية لمدينة القدس، ولاسيما الأثر أو المكوّن المسيحي الذي ما زال ظاهراً للعيان؛ ولذلك نقرأ شيئاً من الرثاء للوجود المسيحي القديم، وهنا نستشهد بنص ينضح بمرارة واضحة تُجاه دير من الأديرة المنتشرة في المنطقة حيث تقول: " **يقال بأن بناءه تم في القرن الحادي عشر ليكون استراحة للحجاج الذين يؤمون بين كنيسة القيامة، وكانت أهميته تتنامى بسرعة وبشكل متواصل حتى القرن الثالث عشر لدى الانهيار المفاجئ للنفوذ المسيحي؛ فتعرضت معالم تلك الفترة للتدمير أو أنها تركت لتذوي وتضمحل تدريجياً كما حدث لهذا الدير** "(22). بل إن الخطاب يبدو مثقلاً بنبرة حنين واضح للمكوّن المسيحي العبري حيث تذكر أثناء مرورها بمنطقة قيسارية ما كان من أثر قراءة شقيقها القنصل لمقاطع رحلة بولس الرّسول في الإصحاح السابع والعشرين من سفر أعمال الرسل، وفيه تصف كيف كانت تلك القراءة مشوّقة أكثر من أي وقت مضى، فتستعيد الحادثة المتصلة برحلة بولس يوم الصّوم الكبير أو " عيد الغفران" حسب التقويم العبري، كما يوضحه لنا مترجم الكتاب (23). في حين أنها في موضع آخر تبقي على حالة الحنين للمكان بصيغته الماضوية، ولاسيما الإحالة إلى دلالة العظمة والقوة والجمال إبان الوجودي العبري، أي قبل أن يصيبها الخراب، والإذلال نتيجة التحولات التي طالت المكان، ومن ذلك الحديث عن صخرة عدتها ماري روجرز بأنها من أجمل ما شاهدت، وفيها تصف ماضيها قائلة: " **لا غرابة إذن في أن علماء تاريخ العهدين القديم والجديد يتّفقون على أن أرطاس هي موقع جنائن سليمان، ولا عجب أيضا في اختيار سليمان لهذه البقعة لكي تكون استراحته الخاصة، والمكان الذي يمارس فيه هواياته المحببة. لابّد أن المكان كان أكثر عظمة وأبّهة في تلك الأزمنة** "(24).

يزخر الكتاب في تكوينه السّردي بالكثير من الأحداث التي تتّصل بنقل أفعال الانتقال والارتحال، وإيقاع الحياة في فلسطين بنمط يكاد يتّصل بالرغبة في تنظيم أكبر قدر من المعلومات، وكأن هذا الكتاب جهاز مبرمج

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

لاستنتاج طبائع البشر، وقوتهم، وضعفهم، بما في ذلك رؤيتهم للآخر، ومع ذلك فإنّ نمط الاستبطان والتحليل، أو حتى محاولة رسم صورة ذات طابع فكري عميق يبدو أقل حضوراً، أو جودة، بمقدار ما هو معني بكتابة تقترب من آلية التصوير، ونقل التفاصيل، وبهذا فإنّ الكتاب لا يحمل الكثير من التعالقات التي تحاول أن تفسّر الأمور من منظور مرجعي منجز، هناك فقط قيم منجزة أو مستقاة من متخيل لاهوتي كامن. فالكتاب تطغى عليه نماذج من التّوثيقية المتّصلة بالمرجعية الدينية (25). وهذا يتّضح في معظم الفصول حيث تنتشر حوارات السّيدة الإنجليزية مع النساء العربيات، والسّكان المحلّيين، فضلاً عن أحداث تتعلّق بنسق الحياة للعائلة الفلسطينية، ومدى تعلّق أفرادها ببعض العادات، والممارسات الدينية والحياتية، وهذا يشمل مختلف الطوائف الدينية التي كانت قائمة في فلسطين، فقد استطاعت الكاتبة أن تنقل لنا الكثير من المعلومات والتّوصيفات التي استهلكت جزءاً كبيراً من متن الكتاب بغية الوقوف على أدقّ تفاصيلها، غير أن بين ثنايا هذا الخطاب ثمّة استراتيجية واحدة، وتتحدّد بمعاينة المكان من خلال منظور قارّ ألا وهو أنّ هذه الجغرافية مسكونة بالإرث اليهودي المتقدم على ما عداه، وبأن كل جزء فيه يتّصل بذاكرة اليهود أولاً، ومن ثم المعطى المسيحي اللاهوتي ثانياً.

لقد شكلت قدرة ماري إليزا روجرز على الرّسم، وتعاطيها مع الفن فرصة لنقل واقع هذه المنطقة إلى المجال البصري، إذ بدت مأخوذة برسم الوجوه، والأشخاص الذين التقتهم، بوصفهم نماذج تاريخية، تزخر بالمختلف، وهذا ما يتّفق مع الحملات الاستشراقية على الشّرق من أجل اكتشافه، ومعاينته، وتحديد ملامحه الثقافية بوصفه ينتمي إلى مجال لاأوروبي، فهو غامض، أو لعلّه غير مُعقلن. وهذا بدا جزءاً من المعرفة التي سادت أوروبا بهدف سبر كل ما هو خارج حدودها، ومن هنا، برز تثمين المجال المعرفي بغية السّيطرة على مفاصل الوجود، وهذا لن يتحقّق ما دام الآخر مجهولاً؛ لذا لابدّ أن يختبر، ويوثّق، ويصنّف، مع بعض الإشارات التي تحاول أن تتّخذ وضعية الكتاب الاستعماري السّاعي إلى إحداث أثر في الأقاليم المختلفة من ناحية الوعي بالنموذج الأوربي والحضاري، ونبذ بعض الخرافات، فضلاً عن تحرير المرأة، ونشر التّعليم، وغير ذلك .

يلاحظ من الإشارات التي أوردتها إليزا في كتابها؛ أنّ ثمة نوعاً من التّجذر والنزوع في وعي الأوربي، فدوره الاستعماري وقدومه إلى هذه المنطقة، ينطوي على قيم حضارية، كما أدوار وتنويرية، غير أن هذا الوعي الأوروبي كان معنياً بمهمة كولونيالية، تتّصل بمحاولة إنشاء خطابات جديدة تتّصل بالقدس بهدف إضفاء الطابع اليهودي اللاهوتي عليها. وفي هذا السّياق أسترجع ما كان من أقوال المحافظين الجديد إبان الغزو الأمريكي للعراق حيث روّجوا بأنّ الغزو قد أتى حاملاً مشاعل الحرية والديمقراطية كي يحقّق التقدّم والازدهار، بيد أنه جاء من أجل تحقيق أهداف اقتصادية، وعسكرية، وسياسية.

تمثيل القدس في المواقع الالكترونية الغربية:

تشكّل الشّبكة العنكبوتية الرقمية مجالاً معرفياً شديد الخطورة، كونها دائمة الصّوغ للمنظور المعرفي الشديد الاتّساع، أو الانتشار، فما يُرقم على الشبكة العنكبوتية يعدّ محتوى متوفّراً سهل الولوج، فالمعرفة في زمن الحداثة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

السائلة باتت متحوّلة، وسريعة التشكيل، والأثر، فضلاً عن إشكاليات تطال معيارية الثبوت، فالانتشار الشّديد للمعلومة، وإعادة تكرارها، وانتشارها، وتوزيعها يعدّ مجالاً لتكوين معرفة تطال العقول الجديدة، وتحديداً القارئ غير المعني بتتبّع المعرفة في المصادر والمراجع الموثوقة، وهذا ممّا يعني قدرة على تشكيل وعي مخاتل سريع الكمون، والثبوت بوصفه معلومة أولية، تتأطّر إجمالاً في تأكيد علاقة القدس بالمكوّن اليهودي، وهذا ابتدأ مع كتب الرحالة الغربيين، غير أنّه وجد صيغة جديدة تكمل المشروع، ولكن مع اختلاف الآلية، أو الأداة، ومع ذلك فإن المكون، والاستراتيجية بقيتا واحدة، ونعني تحديد تموضع القدس في اللغات الإنجليزية، أو في العقل الغربي عبر البوابة اليهودية، والخطابات الصهيونية.

من خلال البحث في عدد من المواقع الالكترونية ذات الطّابع الثقافي العام، والشّامل، والتي تتميّز بقدرتها على الانتشار، وتمكّنها، سنجد أن مدينة القدس تتّخذ وضعاً تاريخياً يبدو شديد الاتصال بمطابقة التّصورات الصّهيونية في تحديد الهوية التاريخية لمدينة القدس عبر طابعها الثقافي والهوياتي عبر العصور، إذ يلاحظ أن المواقع الغربية تنطلق مجتمعة — ضمن وضعية خطابية منظّمة - من تعريف القدس من خلال مكونها التاريخي اليهودي، والمستند في الأصل إلى نصيّة (إنجيلية– توراتية)، ورغم أن ارتباط القدس بالمسيحية عقائدياً أو تاريخياً كان قائماً، غير أنّ هذا التعريف اتّخذ وضعاً متأخّراً على حساب تقديم المكوّن اليهودي للمدينة، وهذا يأتي لأهداف أخرى تتّصل بالحركة الصّهيونية التي نشطت في القرن التاسع عشر، وما زالت مستمرة التأثير.

ثمّة مؤشرات كامنة في الوعي الخطابي تتّصل بعملية تدوين تاريخ القدس في عدد من أهم المواقع التاريخية "الالكترونية" على الشبكة العنكبوتية، حيث نلاحظ أن معظم التعريفات تتوافق على ذكر أسماء مدينة القدس في العديد من اللغات، ومنها العربية، ولكن التّحديد المبدئي، أو المرتبة الأولى تحدّد للاسم العبري. وهذا ما ينسحب على تحديد البطاقة أو الهوية الشّخصية للمدينة، وعلاقتها بالأديان، ومع أنّ معظم تلك المواقع تتوافق على أهمية مدينة القدس بوصفها مدينة مهمّة للديانات الثلاث، غير أن الديانة اليهودية تأتي في المرتبة الأولى، في حين تأتي الديانة المسيحية في المرتبة الثانية، وأخيرا الإسلام.

لابدّ من الإشارة إلى أن المصادر والمراجع التي تعتمد عليها معظم تلك المواقع تتّصل بالخطابات اليهودية، بالتجاور مع مرجعية الكتاب المقدس، في حين أن تاريخ القدس لا يُعترف به إلا مع تأسيس المملكة اليهودية الأولى التي أسّسها النبي داوود، وقبل ذلك؛ فإنّه لا يعترف بأي وجود للمدينة، وهذا ممّا يعمّق فعل التشبيك المعرفي بوصف هذه المدينة قد تأسّست على يد اليهود، في حين يتلاشى أي ذكر لما قبل هذه الحقبة الزمنية، ونعني تأسيس المدينة الحقيقي على يد "اليبوسيين"، حيث لم أجد أي موقع يشير إلى ذلك في كافة المواقع التي قمت بالبحث فيها باللغة الإنجليزية على اختلاف طبيعتها، أو وظيفتها التثقيفية، أو التعليمية.

يلاحظ في هذا السّياق أن اليبوسيين، وهم جزء من الكنعانيين العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية قد تناستهم أو تجاهلتهم المواقع الإلكترونية الغربية، في حين يتجاهل الاسم الكنعاني للمدينة، ومنها " يبوس"

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

و"شاليم" أي " إله السلام" عند الكنعانيين. وبهذا؛ فإنّ التكوين المعرفي للقدس يبدأ من اليهود، في حين تتجاهل تلك المواقع المكوّن العربي الكنعاني، ضمن التسلسل التاريخي لمدينة القدس المتمركز على المدونة اليهودية، مع إشارات سريعة، وخجولة إلى المرحلة الإسلامية التي تختزل، في حين تستخدم اللغة ضمن مستوى يحتمل التشكيك في العلاقة الإسلامية مع المدينة.

للتّأكيد على ما نذهب إليه، لنتأمل على سبيل المثال النماذج الآتية:

أولا: موقع ويكيبيديا الشهير (26):

يأتي هذا الموقع بوصفه الأكثر انتشارا واستخداماً، ولعلّه يعدّ مصدر المعرفة الأول للقارئ البسيط غير المتخصّص. يقدّم هذا الموقع مدينة القدس من خلال التّصورات الآتية:

- يُعرّف القدس بادئاً باسمها، ولكنه يقدّم الاسم العبري على العربي.
- تقع في منطقة الشرق الأوسط.
- ترتيب الأهمية الدينية التاريخية: يبدأ من الديانة الإبراهيمية، فاليهودية، فالمسيحية، فالإسلام.
- البدء في التّأريخ للمدينة من عملية الهدم التي تعرض لها المعبد أو الهيكل؛ بوصفه مركزاً في الخطاب.
- جزء من القدس يسمّى "مدينة داود".
- ارتباطها بالمملكة اليهودية القديمة.
- التاريخ الإسلامي مختزل، أو بسيط جدا.
- يذكر بأن مطالبة الفلسطينيين في المدينة تنهض على مسوّغات تاريخية حديثة، إذ إن تواجد العرب والفلسطينيين بدأ مع العصور الحديثة، في حين تجاهل الموقع تاريخ القدس ما قبل اليهودي، وأعني الوجود العربي الكنعاني واليبوسي.
- العمل على حفريات تتّصل بما قبل التاريخ للتأكيد على ارتباط القدس بمملكة داود.
- محورية المرجعية اليهودية المعرفية الكمية والنوعية بخصوص القدس عامة.
- مصادر الموقع الكتاب المقدس.

ثانياً: موسوعة Britannica(27):

- الاسم العبري يتقدم على الاسم العربي.
- تتناول النزاع السياسي على القدس بين العرب والفلسطينيين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، مع بيان الوضع السياسي للمدينة انطلاقا من موقف الأمم المتحدة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

- تقدّم الموسوعة تعريفها التاريخي لمدينة عبر المكوّن اليهودي، مع التركيز على الحفريات التي تجري بهدف ربط المدينة بالتراث اليهودي، وتأكيد هويتها العبرية التي بدأت بالتحول مع القرن السّادس الميلادي.
- تتبّع بشكل مختزل الحكم الإسلامي وصولاً إلى الحكم العثماني، وتحديداً في القرن التاسع عشر، حيث تصف المدينة بأنها بدأت تتحوّل إلى مركز تجاري وثقافي هام، ولكن مع إشارة إلى بدء الهجرات، اليهودية، وازدياد أعدادهم.
- تؤكّد الموسوعة على الطابع السّياسي، وبالتحديد النزاع على القدس في العصر الحديث، ولكنّها تشير أيضاً إلى تطوّر المدينة، وتميّز طابعها الحضاري المتمدّن بعد أن أصبحت تابعة لإسرائيل بوصفها عاصمة لها.

ثالثاً: موقع (28) History:

- يبدأ بذكر أن القدس تقع في الوقت الراهن في دولة إسرائيل.
- يتحدّث عن وضعها السّياسي المتنازع عليه سياسياً في العصر الحديث.
- يأتي على ذكر وجود المدينة في عصر يسبق الوجود اليهودي، غير أنه لا يذكر سكانها اليبوسيين، في حين يمضي إلى ذكر تاريخ ممالك اليهود وملوكها بإسهاب، ولاسيما داود وسليمان، وما تبع ذلك من تدمير، وتحولات طالت المكان.
- النبرة المتشككة في الإشارة إلى قبة الصخرة، وموقع بنائها فوق المعبد، أو الهيكل، ولاسيما عند التحدّث عن القدس بتكوينها المسيحي، والإسراء والمعراج " التصوّر الإسلامي" تحديداً فإنّه يستخدم كلمة believe– يعتقد، مع الترّكيز على الجزء الغربي من المدينة، وبأنّه جزء من المعبد اليهودي، وهذا ممّا يتوافق مع المروية الصهيونية.

رابعاً: موقع التاريخ القديم (29) Ancient History Encyclopedia:

- يذكر بأنها عاصمة دولة إسرائيل.
- في معرض التقديم للمدينة يتحدث عن أهميتها الدينية لكل من اليهودية والمسحية، ويتجاهل الإسلام.
- ينطلق الموقع من المكون اليهودي التاريخي، إذ يذكر بأنها جزء من مملكة يهوذا.
- تقديم اتصالها بالديانة اليهودية، وبأنها كانت تعد مركزاً دينياً لهم (ألف سنة قبل الميلاد).
- معظم الصّور تتّصل بحائط المبكى، وتتضمّن صور المصلّين اليهود.
- الحديث عن الحفريات التي تستهدف تمكين الجذور اليهودية.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

- تختزل علاقة القدس بالمسلمين في بضعة أسطر فقط، ولاسيما الحكم العثماني.
- المرجع الكتاب المقدس.

خامساً: موقع موسوعة التاريخ (30) Encyclopedia History:

- يعرّفها بالكلمات المفتاحية الآتية: القدس: إسرائيل – الشّرق الأوسط
- تقع في التلال اليهودية.
- التمحور حول التكوين اليهودي لمدينة القدس تاريخياً.
- عاصمة إسرائيل.
- الترتيب (اليهودية – المسيحية – الإسلام).
- القدس تبدأ مع تأسيس المملكة اليهودية، ومن ثم يتبعها التاريخ الإسلامي بشكل مختصر.

سادساً: موقع CBN News (31):

- لا شيء يدل أو يُذكر على أن هناك علاقة للمسلمين مع المدينة.
- تجاهل الوجود الكنعاني أو اليبوسي.
- جيوش محمد (صلى الله عليه وسلم) لم تصل للمدينة إلا بعد خمس سنوات من وفاته.
- لا دلالة على أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) قد كان هناك (التشكيك في الإسراء والمعرج).
- القرآن لم يذكر القدس مرة واحدة بالاسم، في حين ذكرت في الكتاب المقدس أكثر من 600 مرة.
- لا يوجد أي مسجد في فترة الحكم البيزنطي.

سابعاً: موقع المعجم (32) Dictionary :

- التعريف بأنها مدينة مقدّسة، وعاصمة لدولة إسرائيل.
- مدينة مقدسة أو مركز حجّ للحجاج اليهود أولاً، ومن ثم للمسلمين.
- تم تقسيمها بين إسرائيل والأردن 1948- 1967.
- ضمت إسرائيل القطاع الأردني إليها عام 1967.
- أصبحت عاصمة لإسرائيل من عام 1950.
- سكانها التقليديون يهود ينحدرون من نسل يعقوب.
- ذكر بأنها المملكة الشمالية للعبرانيين.
- يذكر اليهود بأنهم شعب الله المختار.
- ذكر التاريخ اليهودي القديم، وممالكها.
- يذكر بأنها مدينة مقدسة في فلسطين القديمة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

- يذكر بأن المدينة تنعت باسم صهيون.
- التمحور حول الطابع اليهودي للمدينة تاريخياً.

ثامناً: معجم أكسفورد (33) Oxford Dictionary :

- يعرفها بأنها مدينة مقدسة لليهود، كما أنها مدينة مقدسة للديانة المسيحية، ومن ثم للمسلمين- وهنا نلاحظ أن المعجم اعتمد ترتيبا تتقدم فيه العلاقة اليهودية على غيرها- في حين استخدم مصطلح holy للعلاقة اليهودية، في حين استخدم مفردة sacred للعلاقة المسيحية والإسلامية، مع التأكيد على أن الكلمة الأولى تعدّ أشد ارتباطاً بالمكوّن العقائدي.
- تقع على تلال يهوذا.
- يذكر بأن اليهود قد استولوا على المدينة، وانتزعوها من الكنعانيين سنة 1000 قبل الميلاد، وأصبحت عاصمة للملكة اليهودية، وموقعاً للمعبد أو الهيكل الذي بناه سليمان.
- الإشارة إلى الاضطرابات وتدمير البابليين والروم لها.
- الإتيان على ذكر الحروب الصليبية.
- أصبحت جزءاً من الدولة العثمانية.
- تقسيم المدينة في العصر الحديث بين إسرائيل والأردن. ومن ثم احتلالها بالكامل من قبل إسرائيل سنة 1967.
- أعلن بأنها عاصمة دولة إسرائيل، على الرغم من عدم اعتراف الأمم المتحدة بذلك كما تذكر الموسوعة.
- تحظى المدينة باهتمام المسيحيين نظراً لارتباطها بموت المسيح، وقيامته، بالإضافة إلى تبجيل المسلمين لها لوجود قبة الصّخرة.

لابدّ من التنويه بأن موقع أو معجم أكسفورد بدا أقرب المواقع إلى الموضوعية، غير أنه لم يتخلّص كلية من تقديم المكوّن اليهودي، والتمحور حوله، في حين أنه -على سبيل المثال- قد تجاهل الحديث عن المسجد الأقصى، كما تجاهل ذكر أي لفظ يتعلّق بالفلسطينيين.

نتائـــج

نستنتج في نهاية هذا البحث بأنّ طبيعة الخطاب الغربي تجاه القدس؛ تمركز على محاولة تأكيد الهوية اليهودية وتثبيتها، في حين يسعى منهجياً إلى نبذ الهوية العربية الإسلامية ضمن خطاب يتّسمُ بالانتظام والانسجام بدءاً من كتابات الرحالة المستشرقين الغربيين إلى القدس، ولا سيما خطابهم المعني بالقدس عبر استراتيجيات خطابية محددة، منها على سبيل المثال الانطلاق من أسماء القدس التوراتية، أو التأكيد على ارتباط المدينة باللاهوت اليهودي، علاوة على استحضار التصورات التاريخية الخاصة بها، فضلاً عن صيغ الحنين لماضيها

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

اليهودي كما تجلى في كتاب ماري إليزا روجرز رغم أنّ الكتاب قد عُرف عنه التّخفّف من الشّبهات الكولونيالية؛ غير أنّه لم يتمكّن من التخلّص من وعيه العميق القائم على تقديم الهوية اليهودية بهدف خلق هوية تتناسب مع المنظور الكولونيالي الصهيوني، مع تجاهل واضح لهوية القدس بوصفها أرضاً كنعانية، مع تجاهل هويتها الإسلامية، أو التقليل من شأنها، وهذا يتطابق وقع الحافر على الحافر مع الخطاب الغربي الناشئ أو المعاصر على المواقع الإلكترونية الغربية ذات الطابع الموسوعي أو التّثقيفي العام، حيث تُعرّف القدس عبر الأسماء اليهودية، ومنها يهوذا، ومدينة داود... علاوة على تقديم التعالق اليهودي مع مدينة القدس على التعالق المسيحي؛ ممّا يعني بأنّ ثمة وعياً يهدف إلى تحييد أي علاقة إسلامية، أو حتى الإشارة إلى فترة الحكم الإسلامي للقدس، وإن وجدت فإنها تظهر باقتضاب، وسريعاً، في حين يتجاهل الوجود العربي الكنعاني في القدس بهدف نزع خصائصها التاريخية المتّصلة بالشعب الفلسطيني، ممّا يعني بأن الخطاب الغربي يتأسّس على وعي تنظيمي سواء أكان على المستوى الإنشائي أو الفكري من أجل تأكيد المروية الصهيونية التي اعتمدت على أنظمة العقل الكولونيالي في تحقيق مشروعها، ويكاد لا يختلف في شكله ومنهجه من لحظة الاكتناه المبدئي الذي تأسّس مع كتابات المستشرقين إلى أحدث موقع الكتروني غربي.

الهوامش والإحالات:

1- انظر دراسة عز الدين مناصرة بعنوان: " مخطوطة روحي الخالدي (1912): (السيونزم) على موقع الرأي اليوم (15 إبريل 2018):

https://www.raialyoum.com/index.php/عزالدين-المناصرة-مخطوطة-روحي-الخا/

2- ماري إليزا روجرز، الحياة في بيوت فلسطين، ترجمة جمال أبو غيدا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013.

3- فيلم أمريكي من إنتاج عام 2005 للمخرج ريدلي سكوت.

4- محمد عبد المنعم عامر، عروبة القدس دعاوى الصهيونية الباطلة، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2004، ص120.

5- نعت الباحث تعالق كتابات الرحالة الغربيين مع القدس بالجغرافيا التوراتية، وذلك نقلاً عن باحث غربي. انظر محمد فريد جرار، اليهود في مدينة القدس في ضوء كتابة رحالة غربيين من القرن الثاني عشر- بداية القرن العشرين، مجلة الدراسات الاجتماعية، ع40 ، جامعة العلوم والتكنولوجيا، إبريل – يونيو 2014، ص 1.

6- جرار، ص5-6 .

7- يذكر جرار أن الرحالة الغربيين نعتوا القدس بأسماء توراتية منها: عاصمة يهوذا، وصهيون، والمدينة المقدسة، ومدينة الملك العظيم، وعاصمة الجنس اليهودي، والمدينة المعشوقة، وأورشليم، والأرض الموعودة، وأرض بنيامين، ومدينة داود. انظر ص ص 5-6.

8- للتوسع في هذا انظر جرار، ص ص 7-9.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

9- انظر أحمد أبو زيد، مدينة القدس في ذاكرة الرحالة والمؤرخين، ملتقى ابن خلدون على الرابط الآتي (23 إبريل 2018)
http://www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=684

10- روجرز، ص 20.

11- روجرز، ص 37.

12- روجرز، ص 300.

13- روجرز، ص 26.

14- لا بد من الإشارة إلى أن المؤرخ الفلسطيني عارف العارف قد قدم عرضا وافياً لهذه الطوائف والأعراق كاليهود، والألمان والروس، والفرنسيين، والإنجليز، وغيرهم، فهو يكاد يقدم معلومات مفصلة عنها تشمل الكنائس والأديرة، والمقابر، والمدراس وذلك بهدف تحديد حضور هذه الطوائف والأعراق من ناحية كمية بالمقارنة مع الوجود العربي الفلسطيني. انظر كتاب عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005، ص 772 وما بعدها.

15- روجرز، ص 45.

16- انظر روجرز، ص 38.

17- انظر روجرز، ص 39.

18- روجرز، ص 39.

19- انظر روجرز، ص 39.

20- انظر روجرز، ص 267.

21- روجرز، ص 203.

22- روجرز، ص 46.

23- انظر روجرز، ص 89.

24- روجرز، ص 69.

25- على سبيل المثال وصفت روجرز طائفة السمرة أو السامرية في مدينة نابلس، وما كان من حديث الكاهن عمران، وسعادته بأنه سوف يموت، وهو مطمئن على طائفته التي أصبحت تحت الحماية البريطانية، ومن ثم تسهب الباحثة في الحديث عن أحوالهم ومعتقداتهم وكتبهم. انظر روجرز، ص252- 262. (لا بد من التنويه إلى أن هذه الطائفة لا تعترف بإسرائيل، وبوصفهم جزءاً من الشّعب الفلسطيني).

26- انظر رابط الموقع على: https://en.wikipedia.org/wiki/Jerusalem (22 إبريل 2018)

27- انظر الموسوعة على الرابط الآتي: https://www.britannica.com/place/Jerusalem (22 إبريل 2018)

28- انظر الموقع على الرابط الآتي:
https://www.history.com/topics/history-of-jerusalem

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679

10 إبريل 2018)

29- انظر الموقع على الرابط الآتي: https://www.ancient.eu/jerusalem/
8 إبريل 2018)

30- انظر الموقع على الرابط الآتي: https://www.encyclopedia.com/places/asia/israeli-geography/jerusalem-political
1 إبريل 2018) .

31- انظر : Why History Says Jerusalem Belongs to the Jews
: http://www1.cbn.com/cbnnews/israel/2017/december/why-history-says-jerusalem-belongs-to-the-jews
23 إبريل 2018)

32- انظر الموقع على الرابط الآتي: http://www.dictionary.com/browse/jerusalem
22 إبريل 2018)

33- انظر الرابط الآتي: https://en.oxforddictionaries.com/definition/jerusalem
26 إبريل 2018).

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1679